وبلا حدود، وإنما نقول: إن موقف سحر واضح كل الوضوح، ينبض في السطور، وتفصح عنه الكلمات، ويشير إليه هذا المشروع الروائي الطموح الذي حاولت تحقيقه، مع ذلك، فإن وضوح سحر كفرد أو كشخصية فلسطينية لا ينعكس بالضرورة وضوحا في نصها المكتوب، وهذا يعني أن وضوح الكاتبة لا يساوي وضوح نصها الروائي. مع ذلك فإن هذه المسافة بين الكاتب والنص لا تؤكد إلا حقيقة واحدة: إن رواية «الصبار» عمل متعدد المستويات، يحمل تجربة الكاتبة، وتجربة شعب تنتمي إليه الكاتبة، وبسبب ثقل الحمولة وتعقد الشرط التاريخي، فإن دلالة الرواية تتجاوز وعي كاتبتها، أو بمعنى آخر: يتجاوز وضوح الكتابة في رواية «الصبار» وضوح وعي الكاتبة التي أنتجتها. وهذا الفرق بين الكاتب والمكتوب لا تكتشفه إلا القراءة الروائية التي تقرأ النص وتصل إلى وضوحه على الرغم من بعض «الظلال». والتي تكتشف بين الوضوح والظلال مدى الجهد المبذول في العمل، ومدى خصوبته، والتي تسمح بحوار بين القارىء والعمل، حوار يجيب فيه القارىء على اسئلة الرواية، ويجيب أيضا على بعض الأسئلة التي لم تجب عليها.

عباد الشمس

في أسلوب أكثر اتساقا وارتباطا بموضوعه الروائي، تستعيد سحر إشكالية رواية «الصبار»، وتكملها ، أو تحاول إكمالها في روايتها الاخيرة: «عباد الشمس». تعود الرواية إلى موضوعها وتعيد طرحه في زمن شبه جديد، والجديد لا يكمن في واقع الاحتلال بقدر ما يكمن في الوعي الفلسطيني الذي يتعامل معه. والموضوع في حدوده الأولى والأخيرة لا يطرح إلا إشكالية واحدة: لا يستطيع الانسان الفلسطيني أن يحقق ذاته في زمن الاحتلال الذي يحاصر الارض والانسان والاشواق الصغيرة والكبيرة. ويمتد الحصار ويترامى حتى يتكثّف في اغتصاب الأرض وإلغاء البيوت وتغييب الانسان في السجن، وعندها يتماثل الحصار بالسجن، ويصبح السجن لغة عادية ووجودا يوميا أو شكلاً محايثاً لحياة الفلسطيني اليومية:

– «كيف السجن وكيف الشباب؟ ونقول السجن كأنه سجن واحد» (ص ٤٧).

– «ربما للسجن مفعوله المبين، لكن مجتمع السجن مختلف عن المجتمع الاكبر. هنا النساء والأرامل والكهول والأطفال وهبوط الليرة. وفي السجن شباب ورجال وقيود السجان ولا شيء أكثر» (ص ٤٨).

– «صار السجن مثل الحصبة. أسمعت بإنسان كبر دون حصبة؟ والسجن مثل الحصبة تماما» (ص ٢٧٦).

الحياة اليومية كالسجن، يختلف أحدهما عن الآخر، دون أن يصل الاختلاف إلى حدود التمايز، قد تختلف الدرجة لكن الدلالة تظل واحدة، لذلك يتماثل السجن و «المجتمع الاكبر»، والتماثل لا يقوم في المكان بل في الوجود الإسرائيلي الذي يجعل من كل مكان سجناً من كل فلسطيني سجيناً: «تبتعد. ومهما ابتعدت تلاحقك العيون. زرقاء خضراء صفراء سوداء. لها أجفان كاكية ورموش عوزية» (ص ٢١). يتحدّد الوضع الفلسطيني